جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة الهادفة

prix littéraires ciblés

premios literarios apuntados

naji naaman *'s*

targeted literary prizes

جائزة المتروبوليت نقولاَّوس نعمان للفضائل الإنسانيَّة

prix métropolite nicolas naaman

pour les vertus humaines

premio nicolas naaman

para las virtudes humanas

archbishop nicolas naaman's prize

for human virtues

2010

إلياس لبيب شوفاني

حْفِرْني عَ قَلبَک

دار نعمان للثقافة

إلياس لبيب شوفاني

أديبٌ وموسيقيٌّ لبنانيّ، من مواليد بيروت (لبنان). يضعُ اللَّمساتِ الأخيرةَ لأطروحة دكتوراه بعنوان "الأنشِطَةُ الموسيقيَّةُ وتأثيرُها على الذَّكاء الانفعاليّ". إمتَهَن التَّدريسَ قبلَ أن يَتكَرَّسَ لإدارة ثانويَّة الأدفِنْتِسْت (المصَيطبة – بيروت)؛ وأَطلقَ مَشروعَ التَّعليم من دون حقيبةٍ مدرسيَّة، أو كتاب، أو لوحة. يُلاعبُ خَمسَ آلاتٍ موسيقيَّةٍ على الأقلّ؛ وهو من مُؤَسِّسي مجموعة "ألوان موسيقيَّة" الهادِفَة إلى رَبط الأعمالِ الموسيقيَّة التُّراثيَّة بالعَمَل الاجتِماعيّ. حائزٌ جائزةَ المتروپوليت نقولاَّوس نعمان للفَضائل الإنسانيَّة (٢٠١٠) عن عمله الحالي، من ضمن جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة الهادِفَة.

إلياس لبيب شوفاني، ذاك الَّذي أمضى العُمرَ في التَّعليم والتَّربية، عرفَ – إذْ حَرَّكَه عَظيما التَّخاطُب الإنسانيّ، الكَلِمُ والوَتر – كيف يَكونُ يَراعةَ الأوَّل، وريشةَ الثَّاني؛ وإذِ انبَرَى، بموسيقاهُ وإنسانيَّتِه، للكتابة، وَزَّعَ حبًّا مجَّانيًّا، فاستَحَقَّ جائزةَ مَن لَطالَما أعطى دونَما انتِظار مَردود، جائزةَ المُثَلَّث الرَّحمة المتروپوليت نقولاَّوُس نعمان للفضائل الإنسانيَّة.

ناجي نعمان

Elias Labib Choufani

Instituteur et directeur d'école libanais, né à Beyrouth (Liban). Il a à son actif des écrits et plusieurs activités dans le domaine de la musique. Lauréat du Prix Métropolite Nicolas Naaman pour les vertus humaines (2010) dans le cadre des Prix Littéraires Ciblés Naji Naaman.

Teacher and school director, born in Beirut (Lebanon). With several writings and various musical activities, he is laureate of Archbishop Nicolas Naaman's Prize for human virtues (2010) within Naji Naaman's Targeted Literary Prizes.

ألمقدِّمة

شاعِر الفَرَح والوِجدان

أنا وعَم بِقرا كتاب الشّاعر الياس شوفاني "حْفِرْني عَ قَلبَك"، شعرت بفَرَح داخلي، وغبطة غمَرتني، ونْحَفَرِتْ بنَفسي، مش لأنُّو رفيق درب طويل، لأَنّو في شي أكتَر من هَيْك، في قدّامنا شاعر، وشِعر بيتغنَّى على طرف ريشة عود وعوّاد، ومفاتيح بيانو، وأورغ، وغيتار.

قصايد الشّاعر الياس شوفاني بهَــ الدّيوان، هزّات سيف بيحَرّك الجوّانيّة، ونبضات مِن تفاعل الرّوح والإحساس الجمالي؛ هَيدا من ناحية، ومِن ناحية تانية في هزّات، بتولِّع نار ضروريّة لكلّ شِعر.

ديوان "حْفِرْني عَ قَلبَك"، في تلات طلاّت من الكلام، طلّة شعر لبناني، وطلّة شعر عربي، وطلّة نثر بيشبه أجمل القصايد، ومتل هــَ النّثر بياخد مِن حَلا الشِّعر والقلب والوجدان.

شَعَرْت بأكتر من مكان، إنّو هــَ الشّاعر متخصّص بموضوع الجماليّة، والفرق بينو وبين غيرو، إنّو موضوع قصيدتو، فيك تلمس في الدقّة بالكلام، والتعاطي الشِّعري بمَفهومو الحقيقي.

في قصايد ما بتتجاوز بضعة أبيات، بتحسّ فيا الحنين، والشّوق، والإيمان بأللّه والوطن.

قصيدة "أمّي" متلاً، يمكن هيّي كانت سبب رجوعو عَ لبنان، بيقول:

سهران طول اللّيل إحلم بالرّجوع
واللّيل طال وفاضت بعيني الدموع
فتّشت عن رفيق ما في غَير يسوع

دمّو بها العتم ضوّى شموع
وقال،
يا بني لغير الوالدة ما في خشوع

هــَ الدّيوان شِفت في شخصيًّا، أكتر مِن الفرح والوِجدان، شِفت بداخلو الأَمل والقلق، وهَون بتذكَّر الشّاعر الكبير ميشال طراد، بديوان "ليش" وديوان "جلنار".

لعبة القَلَق الشوفانيّة برزت بالوصف التّصويري، لْ ما غابِت عن القصايد، إِلاَّ ببعض الفواصل.

ولعبة الأَمل، كانت قريبة كتير من التطوّر الجذري، والملفت إِنّو رجّعت شعلة الشِّعر للوهج والنّور لمساحات الذّات، لكن بدّي عجّل لَ قول، قضيّة الأمل، كانت كلّ مرّة، عم تغلب العتمة وزوايا القلق والتشاؤم، هــَ الشّي لمحتو بقصيدة "الفستان خبّرني" وبقصيدة "إِنتِ الكلّ".

الأمل عند الشاعر الياس، بيترجمو الكلام، وإزميل فنّان، خصوصًا إِذا كان الحفر عَ القلب:

بهَا العتم، بآخر ليل
حفرني على قلبك
ليش الحلم باللّيل
ب بطّل ملبّك
... ولو كنت أَنا فراشة حبّ
بترك زهور الكون
وبغطّ عَ خدّك

واللّي لفتني بديوانو كمان، جماليّة جرّ الرّيشة بالشِّعر العربي الفصيح، وتحديدًا بقصيدة "على حَفافيها رَبيتُ". بهَا القصيدة عالج الصّراع من دون ما يسمّي، برؤيا شعريّة واضحة.

كشف صراع الزّمن على بيروت، وزواريبا، وأزقّتها.
بيروت ها الشاعر منحت العبقريّة للكون والشّعرا والإنسان.
بيروتو، بيروت العِشق، والفرح.
بيروتو، بيروت الحبيبة.

بيروتو، بيروت نزار قبّاني، وملوك الشِّعر، بيقول:

يا كلَّ الحبِّ، وكلَّ العِشق، وكلَّ الفَرَحِ
بيروتنا
أَنا مِن دُونكِ أَثير
والآن أنتم تعرفون "حبيبتي من تكون"

بقصايدو العربيّة، ببيِّن النزعة المثاليّة، المحبّبة، ولْهموم لْمخبّاية بين السطور، وضمن الإيقاع الداخلي، لْ بتمدّو الصور، والقدرة على التفسير وتوليد المعاني.

بقصايدو، بنسمع الموسيقى الجاي من جوّات الموسيقي الياس شوفاني.

الموسيقى المنسجمة مع النّغم النفسي، وعلى الفور بتربى الكلمات شوي شوي بمختلف مضامينا ومعانيها، كأنّا رسوم إلها علاقة بالمخلوق البشري، والوطن، والموسيقى والمواقف.

والمدهش بهَا الشّاعر، إنّو ناثر مهمّ، وخصوصًا باللّي قالو بمقطوعة "صياد السمك وأبو الهول"، عبر حوار حيّ بين الإنسان والحياة، وبمقطوعة "صبيحة الميلاد".

بأدبو النثري، بتِجتِمِع العوامل الأخلاقيّة والإيمانيّة والإنسانيّة.

كَتيبتو بتِمتاز بالتّواصل، وعدم الأنانيّة، وحبّ الذّات.

مضمون كَتيبتو بالنّثر، ما بيِطلع عن الواقع، اللّي بيتفاعل بالنّبل، وطيبة الإنسان البيّ لأجمل وأحسن تلات بنات: جنى، وديمة، ويارا.

يا بو جنى، إنتَ شاعر، وناثر، وموسيقي، وتربوي بامتياز.

باكورة أعمالك فيا فنّ وإبداع.

يِسلَمو إيدَيك.

راس سنة الــ ٢٠١٠ د. ميشال كعدي

حْفِرْنـي

عَ

قَلبَک

يَمِّي، قلبك معي

قلبِك معي زوّادة حنان
عَ طَريق الخير والحبّ والعِرفان
للأَبد معنا
طهر بيدوب ع مرّ الزّمان
جْمِيل ما بينرَدّ من إِنسان
مهما كِبر بْ جاه أو إِيمان
بَيتِك عَرْش،
جنّة، عنوان المكان
اللّي يَسوع الرّبّ لو دَار الزّمان
تَيعود ل هالأرض ويشوف البَشَر

شو بيعملو ت القلب يتحوّل حَجر
ويكتُب بدمّو اليوم كيفوّي الخَطر
داهِم،

يشتِّت قَطيع عن دَربو دَشَر
ل كان زار البيت اللي مِنّو انتَشَر
هالنّور اللّي عمّ الكون تَ يلغي الضرر
وقلّك يا إمّ الكلّ
إِنتِ الرسالة اليوم يا شمس وقَمَر

آذار ٢٠٠٧

إنتِ الكلّ...

خدودِكْ حُمر شفافِك جَمر
بدِّي دُوب بعينيكي
بِشرَبْ نَهر ان كَنّو خَمر
بس تسكِبلي إِيديكي
نَهدِك مُهر بيقهرْ قَهرْ
مَسكوب سَكب عليكي
بنطر شَهر وخلفو الدّهر
ت قلبي يوصل ليكي

أيلول ٢٠٠٩

لحظات محكومة

الكون ما بيحيد عن إنسان
بياخدو عَ دْروب مَرسومة
مهما حلمنا بجاه أو وجدان
حكاياتنا بالحكم مَوسومة
بتنحَت حياتك بريشة الفنّان
بتقول جَنتي من الشرّ مَعصومة
بتبني عرش بيتك بأجفان
بتشكلو بسمات ب قالب نعومة
بتبقى ب هَم بكرا دايمًا غرقان
بتقضي العمر بساعات مَهمومة
بتركض تشيل الهمّ عن عطشان
بتسابق الغيمات بخطْوات مَحمومة
ولو ردت تلفّ حرام ع بردان
أو تفرج غمام بنت مَغرومة

لا تحسب ب هالعمر في حِملان
لا تجرّب تلاقي سرار مَكتومة
ولا دياب ناطرة قربان
لحظات يومنا بالقدر مَحكومة

٢٠٠٩/١٠/١٠

حكي العيون

عيونِك بيحكو كتير، لا تتكلّمي
بيوحو ب همّ القَلبْ، لا تتبسَّمي
فيهن خبار، فيهن عِشق
فيهن تَعب، فِيهن أَلَم
فيهن كَلام،
فيهن آيات حزن منغَّمِة
عِيشي ربيع العمر
قبل ما تتبخَّر الأيّام وتأفل نجومِك
ويصير هَمّ العمر يسابِق الأَحلام

عيونِك قالو الحَكي، لا تتغَمغمي
لا تتركي قلبِك
ناطِر حِكِم،
إِنتِ الحَكَم
إِنتِ القاضي، إِنتِ ختم المحكمة

٢٠٠٩/١٠/١٦

الفستان خبَّرني

نهدِك حلو، هالقَدّ؟!
عن جدّ ما حدّدت
إنّو الصّلا ماشية حدّي
السّما لولا اختَرتْ
ما فكّرتْ إنّو عا السَّما بدّي
طِير ولا بدِّي روح
إنتي الشّمس والشّمس شو حدّي

الفستان خبَّرني
بصوت ناعم ومجروح
وقَلِّي تَعَا اطَّلّع بعينيي
بدّي حَدا، ما بقدِر وحدي ضلّ،
غلّ فيي
رفيق صار بدّي

٢٠٠٩/١٠/٥

كيف عرفت

مِش قِلتْ نهدِك حلو !؟
عن جَدّ ما كذّبتْ
عيوني بيحكو الصِّدق
ولا مرّة تردّدتْ
قُول الكلام عن نَهدِك الغالي
لا تسأليني ب ها اليوم كيف عرفتْ
إنّو حلو،
الفستان أومالي.

هْدَيتِك حنين القلبْ
والتقديم ما بيطلَع على بالي
لو ما شِفتْ هالفستان
مخجول وملبّك قبالي
بدّو رفيق يساعدو ع الحِمل
تقدَّمت وشرحت عن حالي

دعاني شاركو بالأمر
ولِفّ القَمر تَ يبطِّل يلالي
وَقِلّي انجدْني يا صديق العمر
لا تِستحي لا تروح كرمالي

٢٠٠٩/١٠/٦

حْفِرْني ع قلبَك

بهالعتم بِآخر ليل
حْفِرْني عَ قلبَك
ليش الحلم باللّيل
بِ بطّل ملبَّك
أنتْ متل الورد ب قلبْ الرِّيح
طايِر وما شِفتني حدَّك
لو كنت أنا نسمة بربيع العمر
بزيح
ما بوقف بْ دربك
ولو كنت أنا فراشة حبّ
بترك زهور الكون
وبغط ع خدّك
ولو كنت أنا لوحة برسم رسام
ما بِنرَسَم غير عَ يَدَّك

لو ردت يا قلبي بقطف النّجمات
وبشلَحُن عندك
وان كان بدَّك الكون يتغيَّر
بغيّرو متل ما بدَّك

٢٠٠٩/٢/١٠

وصيّة لَ عَريس بنتي

هالبِنت يَلِّلي واقفي قبالكْ،
تَرْكِت كنوز الكون كِرمالكْ
احفظْها برِمشْ العين طول العُمر
وخَلِّي كَرامتها تْزَهِّرْ بْالَكْ
كانت زغيرة وكنت كلّ ما بِجي وبروح
تركض، تقول بَيّي... اشتَقنالَكْ
وكانت إمّْها تقول يا رجّال
مَعقول هالحبّ؟ هالعِشق؟ نِيَّالكْ
بكرة بتكبَرْ، بتبقَى حارسة خِيالكْ
وهلَّق دار العمر والحلم دار
وَصَّلْ لعِندك انشالله بِيبقالَك

٢٠٠٩/٩/٢٩

وصيّة لبناتي التلاتي

حبَّيتكن تمشوا بقلــب مفتــوح درب الوفــا، إيمــان متــأنّي
وبعيون غَر بالصّدق ما بتبوح تشوفوا الحياة بأهلهــا جنّــة

إنتو "جنــى" عمــري وحنــين و"ديمة" عليها الوعد طمّنّــي
و"يارا" بيارق حلم عم بيلــوح[1] بإيد الزّمان الرّاجــع يغنّــي

عيشــوا الهنــا مواســم فــرح وبيدر كرامة... غلّتــو منّــي
زهر القناعة... خير عم بيفوح وشوك الحَسَد ما بيقدر يجنّي

وحتّى تعلّو بالزّمــان صــروح ضلّو سوا... وتــذكّروا إنّــي
حبّيتكن تبقــوا بعــد مــا روح صورة بتحكي للــدّني عنّــي

٢٠٠٩/١/١

(١) بنات الشَّاعِر: جنى، ديمة، يارا.

إمّي ...

سهران طول اللَّيل إحلم بالرّجوع
واللّيل طال وفاضت بعيني الدموع
فتَّشت عن رفيق ما في غَير يسوع
دمّو بها العتم ضوّى شموع
وقال،
يا بني لغير الوالدة ما في خشوع

أيلول ١٩٨٧

صَبيحَة الميلاد

على حفافيها رَبيتُ

رائحةُ أَزقَّتِها تَعبقُ فيَّ حتى الآن
زواريبُها الصَّغيرةُ هي أرحَبُ رحابِ الدُّنيا
بيروتُ، كُلُّهم فيكِ تفاصيلُ
بيروتُ، كُلُّهم بعدَكِ غُبارٌ
بيروتُ، يا مانحةَ الإنسانيَّةِ هُوِيَّتَها
بيروتُ، يا مانحةَ العبقريَّة مَداها
بيروتُ، يا كُلَّ الحبِّ وكلَّ العِشقِ وكلَّ الفرحِ
بيروتُنا
أَنا من دونكِ أَثيرٌ
والآنَ، أنتم تعرفونَ "*حبيبتي مَن تَكون*"(١)

آذار ٢٠٠٩

(١) عنوان أغنية لعبد الحليم حافظ.

حبيبتي

"أن تكتبَ هو أن تَعيش، أن تعيشَ هو أن تُحبَّ
أن تُحبَّ هو أن تُصلِّي، أن تُصلّي هو أن تَشكُرَ
أن تَشكُرَ هو أن تفرَحَ، أن تفرَحَ هو أن تَخشَعَ
آمين"

حبيبتي،
اليومَ عيدُ ميلادكِ، أم عيدُ ميلادي؟
أَنا وُلدتُ يومَ مولدِكِ
ودُنيَتي وُلدتْ يومَ مَولدِكِ.
لم أَعدْ أعدَّ الأيَّامَ، إلا منذ كنتِ أَنتِ.
عندما تنظرينَ إِليَّ،
أحسُّ أنَّ الدُّنيا كلَّها تنظرُ إليَّ،
عندما تُناديني أحسُّ أن الملائِكةَ تُغنِّي لي.
منذُ ولادتِكِ، أَنا لستُ كِيانَ إِنسانٍ؛
أنا أبٌ أصبحَ كلُّ مَن حولَهُ، يقولُ
إِنَّ الأبَ هو الَّذي يروحُ أو يَجيءُ أو يعملُ أو يتكلَّمُ.

وعندما أستيقظُ كلَّ صباحٍ، أنظرُ إِليكِ لأَرى إِذا كان صحيحًا... أنَّ الملائكةَ تُشبهنا؛

وكم أفرحُ وأُصلِّي حينَ أتأكَّدُ أنَّ الملائِكةَ لا تُشبهُنا فحَسب، بَل أكثر: إنَّها تعيشُ معنا.

عيدُ ميلاد ابنَتي، حزيران ٢٠٠٩

رجلٌ مُتزوِّج

يَبقى الزَّواجُ مؤسَّسةً مبارَكَةً وعيدًا مستمرًّا مع كلِّ تحدِّياتِهِ ومسؤوليَّاته؛ إلاَّ أنَّ بعضَ الأفكارِ تخطُرُ على بالي عندَ كلِّ مناسبةٍ، وأخصُّ بالذِّكرِ الأعيادَ والتّذكارات، اللّباسَ والطَّعامَ.

لم أكنْ يومًا مديرًا للمَراسمِ في أيِّ قصرٍ جمهوريٍّ أو في أيِّ قصرٍ ملكيّ؛ ومع هذا يَنبغي عليَّ أن أكونَ روزنامةً تحفظُ كلَّ الأعيادِ العائليَّةِ والاجتماعيَّة؛ ويجبُ عليَّ أن أقومَ بواجبِ المُعايدةِ في الصَّباحِ كَيلا أُتَّهمَ بأنّي نسيتُ وذكَّرَني أَحدُهم. ذكرى خطوبتنا، عيدُ زواجنا، عيدُ ميلادِ زوجتي، عيدُ الأُمِّ، عيدُ ميلادِ بناتي، عيد الخواجة ڤـالانتَيْن، الذِّكرى المجيدة لتخرُّجِ زوجتي من الجامعةِ... بينما تَمرُّ كلُّ المناسباتِ المتعلِّقةِ بي، وبخاصَّةٍ عيدُ الأب (ولا مين شاف ولا مين دري ولا مين حسّ)؛ وأكثرُ ما يلفتُني هو ضرورةُ أن يكونَ الزَّوجُ هو السَّبَّاقُ في المُعايدةِ في عيدِ الأُمِّ وذكرى الخطوبةِ المباركةِ وعيد الزَّواج وعيد الأخ ڤـالانتَيْن، وكأنَّ هذه المناسبات تخصُّ الزَّوجةَ فقط.

وأيضًا، لم أكُنْ يومًا مديرًا لدارٍ من دورِ الأزياءِ الشَّهيرةِ مثل بيير كاردان، أو شانيل، أو كالــڤن كلاين، إلاَّ أَنَّ واجبي يُحَتِّمُ عليَّ أَن أُعطيَ رأيًا بملابِسِ زوجتي؛ وهذا أمرٌ حسنٌ إنَّما نوعيَّةُ الجوابِ هي المشكلةُ، لأنَّ الجوابَ يَجبُ أن يكونَ (كتير حلو هالفستان، أو يخرب ذوقك شو لابِقلِك)؛ وهو بالفعل قد يَكونُ جميلاً بينما أذهبُ وأَشتري بنصفِ ساعةٍ لباسَ العامِ كلِّه وألبسه تِباعًا فلا يحسُّ أحدٌ على جديدي أو على ذوقي.

أَلفتُكَ، يا صديقي، إلى أَنَّني لم أعملْ يومًا واحدًا في حياتي طبَّاخًا في المطابخِ الــپــاريسيَّةِ الفاخرةِ أو المطابخِ الإيطاليَّةِ الشَّهيَّة؛ ومع هذا يجبُ أن أُجيبَ على السُّؤالِ الدَّائمِ (شو بتاكُل اليوم)؛ ولا أخفي سرًّا إذا قُلتُ لكَ إنَّني لا أفقهُ مِن سرِّ الطَّعامِ شيئًا؛ ومع هذا يجبُ أن أجيبَ عن السُّؤالِ وإلاَّ اعتُبِرتُ (حردانًا أو في شي زاعجني بالبيت)؛ وعندما أجيبُ (مناكُل لبنة أو بطاطا)، تُسَرُّ زوجتي لسهولةِ طلباتي، بينما الحقيقةُ هي أَنَّني لا أعرفُ أكثر.

أحيانًا، أقولُ لنَفسي إنَّهُ يجبُ عليَّ أن أوسعَ أُفُقَ إدراكي، وأتعلَّم، وقد صَدَقَ مَن قالَ: *"أطلُبِ العلمَ من المَهدِ إلى اللَّحدِ"*. أَلا تُشاركني الشُّعورَ والطُّموح؟

أيلول ٢٠٠٩

صيّادُ السَّمكِ وأبو الهول

حوارٌ بين إنسانٍ والحياة

سيِّدتي،
الكتابةُ لا تعرفُ حدودًا، كذلكَ العواطفُ والأَحاسيسُ.
الكلمةُ؟ أَينَ هي حدودُها؟ وإِلى أَيِّ مدًى حدودُ العاطفةِ؟
هل في الدُّنيا مَن يقدرُ أن يصدَّ عاشِقًا عن التَّفكيرِ؟
هل في الدُّنيا مَن يقدرُ أن يحجبَ حلمَ طفلٍ؟

يا سيِّدتي،
عاطِفتي هي أَنا، وَهل أَنا قادرٌ على أَلاَّ أُصبحَ أَنا؟
فَهل تريدينَ أَن أَبتعدَ عن نفسي كي أَكونَ عاقلاً؟
عندما أَكتبُ لكِ، أَرى نفسي فيكِ، أُخاطِبُكِ.
عندما أكتبُ أَكونُ أَنا.
عندما أَكتبُ أَتصوَّرُكِ الحَفْرَ والتَّنزيلَ تحتَ أَزاميلي.

يا سيّدتي،
لو كنتِ الشَّمسَ لَسَبَحتُ إِليكِ.

لو كنتِ الشَّمسَ لَسَحَبتُ منكِ خيوطًا نورانيَّةً لعلَّها تُدفئُني.

ولو كنتِ القمرَ لاتَّخذتُكِ غطاءً ناعمَ المَلمَسِ، أنسلُ منه خيوطًا فضيَّةً، تُغطِّي جسدي لَعَلَّني أَحلمُ بكِ حوريَّةً مِن أساطيرِ الخيالِ. وأَمَّا الخيالُ فملكي أنا، وسأبقى أحلمُ وأَتخيَّلُ ما أشاءُ، وكيفما أشاءُ.

يا سيِّدتي،

عندما أَكونُ في معهدِ الموسيقى، أُصغي إلى كلِّ النَّغَماتِ، لكنَّني لا أَسمعُ إلاَّ نَبَراتِ صوتكِ المتهدِّجةَ، عندما أحضنكِ، أو عندما أُقبِّلكِ.

وعندما أغمرُكِ، ويلتصقُ جسدي بجسدكِ، وأُزنِّرُكِ بساعِدَيَّ، أَسمعُ أَيضًا نَبراتِ صوتكِ الَّتي لا تنطقُ بشيءٍ، ولكنَّها تنطقُ بكلِّ شيءٍ. تقول:

يا سيِّدتي الحلوَة،

عندما أجلسُ لأُراقبَ الأَشياءَ الجامدةَ إزائي، أَراها بشرًا في غابةٍ مِن بَشَرٍ. الكلُّ يُشبِهُ الكُلَّ إلاَّ أَنتِ، لا تُشبهينَ أَحدًا إلاَّ أنتِ، لأَنَّ الجوهرةَ النَّادرةَ لا مثيلَ لها.

يا سيّدتي،

أنتِ، ما كنتِ لي، بل أَنتِ كأَبي الهولِ، تعيشينَ للماضي، وللحاضرِ الصَّامتِ.

وأنا؟ أنا كصيَّادِ سمكٍ، يعيشُ خارجَ الحياةِ، خارجَ الحلمِ الدائمِ.

أنا أعشقُ صيدَ السَّمكِ، اللُّهاثَ، اليومَ الذي أعيشُهُ، والأملَ.

أنا كصيَّادِ سَمكٍ له وِسْعُ البحرِ، وما يملكُ، وبعدُ، يا سيِّدتي، يبقى دائِمَ الأَملِ.

أنا كصَيَّادِ سَمكٍ، لا يَيأسُ من العِشق والتَّأمُّلِ على الرَّغم من التَّعبِ الَّذي يلاحقُني أحيانًا كثيرة.

يا سيِّدتي،

أَبو الهولِ هَزَمَ الزَّمنَ، وأَنتِ هزَمتِ كلَّ الرِّجالِ...

ثُمَّ هُزِمْتِ.

أشياؤُكِ هَزَمَتكِ.

وسادتُكِ هَزَمَتكِ.

فستانُكِ هَزَمَكِ.

سريرُكِ هَزَمَكِ.

لقد استسلمتِ لأَشيائِكِ، حتَّى الصغيرةِ منها، من دونِ سؤالٍ، ثمَّ انتصرَتْ عليكِ مِن دونِ استِئذانٍ.

يا حُلوَتي،

أَنا أَغارُ مِن أَشيائِكِ والمَطارح.

أَنا الصَّيادُ الذي يحلمُ برزقِهِ كلَّ لحظة.
وأنتِ أَبو الهول، الذي يغارُ ولا يتأمَّلُ، لأَنَّه عَرَفَ حدودَهُ فوقفَ...

يا سيِّدتي،
أَنا لا أَيأسُ، ولا أستسلمُ، لكنَّني سئِمتُ الوقوفَ أَمام البابِ، وعلى الشَّاطئِ.
لن أُريحَ عواطفي، ولن أعدمَها، أَو أَستقيلَ منها... فالإعدامُ حَرامٌ، والاستقالةُ جبنٌ، وأَنا ما تعوَّدتُ الحَرامَ، ولا الجبنَ، ومع هذا فإِنَّني أَتوقَّفُ لو طلبتِ...

نَعم أَنا مشتاقٌ لِلَمْسةٍ مِن يدَيكِ.
أَنا مشتاقٌ لنظرةٍ مِن عينَيكِ.
أَنا مشتاقٌ لقبلةٍ مِن شفتَيكِ...
ومشتاقٌ لأكثرَ وما أَكثرَ الأكثرَ... ولَن أَزيدَ.

٢٠٠٩/١٠/١٠

صبيحة الميلاد

نهضتُ باكرًا في صَبيحةِ يومِ الميلادِ كَعادَتي في كلِّ عامٍ.

الكونُ على امتِدادِهِ هادئٌ إلاَّ فِكري الَّذي تتقاذفُهُ الهواجسُ والأفكارُ الَّتي تَتوالى.

الدُّنيا ساكنةٌ، هادئةٌ، كأَنَّها في سُبات دائمٍ إلاَّيَ.

وَمَرَّةً تلوَ مَرَّة، تَنتابُني أَسئلَةٌ شَتَّى عن معنى الميلادِ؛ وأَمَّا الرِّسالةُ فقد وَصلَتني حاملةً في طيَّاتِها معنًى واضحًا في ذلكَ الصَّباحِ البَهيِّ، وعلى الأَنوارِ المُتغامزَةِ، قُرِعَ بابُ البيتِ، عندَ السَّاعةِ السَّادسةِ صَباحًا. وعلى التَّوِّ سألتُ مُجدَّدًا عن معنى العيدِ، وعن الَّذي طَرَقَ البابَ مِن دونِ أَن تكلَّ يَدُهُ، وَعَمَّن يكونُ؛ وفي كلِّ مَرَّةٍ، كان الجوابُ الطَّرْقَ المتواصِلَ، والنَّتيجةُ أَبدًا لا تُنبئُ عن شيءٍ.

وأَمامَ إلحاحِ القادمِ، قارِعِ البابَ، فتحتُ المصراعَ حيثُ وجدتُ شابًّا، يَحملُ أَوانيَ مطبخيَّةً للمَبيعِ، في مُعظَمِها بلاستيكيَّة، وكلُّ ما فيه يتكلَّمُ إلاَّ لسانُهُ، فهو أَبكَمُ، على أَنَّني رأيتُ فيه إشاعةً للأَملِ، والعنفوانِ، وثقافةِ الحياةِ والعيشِ.

وقد بادرَني بإشارةٍ، فهمتُ منها، عَمَّا يَدورُ في خَلَدِهِ مِن أَسئلةٍ، وبخاصَّةٍ إذا كنتُ زبونًا؛ وأَمَّا أَنا فكانَتْ إِشارتي له بالنَّفي، وراحَ يصرُّ عليَّ بالشِّراءِ.

إِزاءَ إِصرارِهِ لأَشتريَ ولو شيئًا منه، تَداخلَ في رَغبتي القبولُ بعدَ هذا المشهدِ بين التَّاجرِ المُتَجَوِّلِ وبيني، ثمَّ قرَّرتُ شراءَ مَجموعةٍ ما يحملُ من أغراضٍ، ظنًّا منِّي أَنِّي أقومُ بعملِ الخيرِ، وكانتِ المفاجأةُ أَنَّ بادرةَ الخيرِ جاءَت منه.

وعلى الفورِ، رَفَعَ يدَيه نحو السَّماءِ لتُباركَني، وَقَدَّرْتُ مِن تَمتَماتِهِ ومن دموعِهِ، أَنَّهُ يَسألُ اللهَ العونَ والرَّحمةَ والتَّوفيقَ لي.
وبدوري عَرَفْتُ أَنَّ رسالةَ الميلادِ قد وَصَلَتْني، وما قمتُ به يُريدُهُ الرَّبُّ كَعَمَلٍ للخيرِ الدَّائِمِ.

على أَنَّ البائِعَ الأَبكَمَ المُتَجَوِّلَ، عاشَ معي هُنَيهاتٍ إِحساسًا وشُعورًا.

وخِلتُ القُدرةَ تُرافِقُني، في لحظاتِ العطاءِ وَعَملِ الخيرِ في سبيلِ الآخرينَ؛ والثَّابتُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ يدخلُ في تفاصيلِ الإِنسانِ المُؤمنِ من حيثُ لا يَدري.

بَعْدَ نجاحِ العَرْضِ والطَّلَبِ، أَغلقتُ البابَ، وعدتُ إلى نفسي أُكاشِفُها عن تلكَ اللَّحظاتِ. وَصَمَّمتُ أَلاَّ أُخفِيَ على قارئي، أَنِّي بكيتُ بكاءً مُرًّا بسببِ غروري بادئَ بدءٍ، وضعفي البشريّ.

ويا ربَّ الأربابِ. كم من نعمةٍ، لا نفهمُها. وكم من بركةٍ لا نراها. ويا خالقَ السَّمواتِ والحَيَواتِ والدُّنيَوات، أَنتَ البدايةُ والنِّهايةُ، وأَمَّا ميلادُ المُخَلِّصِ فهو معنى الحياةِ والزَّمانِ والانبِعاثِ.

٢٠٠٩/١٢/٢٥

الثقافة بالمَجَّان
سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها
Ath-Thaqafa bil Majjan
Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

HFIRNI 'a 'ALBAK
حْفِرْني عَ قَلبَك

Avril 2010
© ***Tous droits réservés* – All rights reserved – *Todos los derechos reservados*** ألحقوقُ مَحفوظة
Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org